شهريّات

مؤتمر الادباء وحرية التعبير ...

هذا الشهر ، خضنا في مؤتمر الادباء العرب التاسع في تونس ، معركة من أقسى المعارك آلتي خضناها دفاعا عن حرية الفكر والتعبير .

وفي البيان آلذي أصدره اتحاد الكتّاب اللبنانيين بعد عودة وفده من المؤتمر وصف ضاف لهذه المعركة وللموقف الذي اتخذناه في المؤتمر والخطوات التي سنخطوها في المستقبل .

وهذا هو نص البيان :

انسحب وفد آتحاد الكتّاب اللبنانيين من مؤتمر الادباء العرب التاسع الذي انعقد في تونس من ١٨ الى ٢٥ آذار .

كيف حدث ذلك ، ولماذا ؟

هذا ما يود وفدنا ان يوضحه في البيان الآتي ، ايمانا منه بواجبه في اطلاع الرأي العام اللبناني والعربي ، واستباقا لما سيقع من تشويه للوقائع والدوافع .

تلبية لدعوة اتحاد الكتّاب التونسيين ، سافر الى تونس في السابع عشر من آذار وفد اتحاد الكتّاب اللبنانيين المؤلف من ستة أعضاء هم : أحمد ابو سعد ، فؤاد الخشن ، الدكتور ميشال سليمان ، الدكتور ميشال عاصي ، انطوان ملتقى ، والدكتور سهيل ادريس الامين العام للاتحاد رئيسا للوفد . وتخلف عن السفر الدكتور خليل حاوي ، بسبب المرض ، وادونيس لظرف عائلي طارىء . وكان رئيس الوفد تلقى تذكرة سفر خاصة من اتحاد الكتّاب التونسيين . اما التذاكر الخمس الباقية فدفع ثمنها صندوق اتحاد الكتّاب اللبنانيين ، على قلة موارده ، وحلّ أعضاء آلوفد ضيوفا على المؤتمر، كجميع الاعضاء الآخرين .

وكان الوفد اللبناني مصمما على ان يثير في المؤتمر موضوع حرية التعبير في البلاد العربية ، انسجاما منه مع كل مواقفه السابقة ، ومتابعة منه لموقفه الاخير الذي شاركه فيه كثير من الادباء والكتّاب اللبنانيين والعرب احتجاجا على تدابير القمع التي اتخذت في الشقيقة مصر حيال عدد من الكتّاب وآلصحفيين والفنانين .

وقد التقى اعضاء الوفد اللبناني في تونس بكثير من الادباء العرب المشاركين في المؤتمر ، وأطلعوهم على نيتهم اثارة الموضوع منذ حفلة الافتتاح ، فوجدوا لديهم من آلتقدير لهذا الموقف والتشجيع ما زادهم ايمانا وتصميما . بل ان خمسة على الاقل من رؤساء الوفود وعدوا رئيس وفدنا وعدا قاطعا بتأييد كل ما سيقترحه في هذا الصدد ، حتى ولو أدى الامر الى الانسحاب من المؤتمر . وكان منهم رئيس وفد اتحاد الكتّاب والصحفيين الفلسطينيين ، لكنه عاد فوقف ، مع الاسف ، موقفا يتناقض مع الموقف الذي سبق ان وقفه الامين العام لاتحاد الكتّاب الفلسطينيين في بيروت .

وحين وصل الامين آلعام لاتحاد الادباء العرب الاستاذ يوسف السباعي ، تبادل مع رئيس الوفد اللبناني التحية بالعناق لصداقتهما القديمة . لكنه أتاه في اليوم التالي متجهم الوجه يسأله هل صحيح ما سمعه من ان الوفد اللبناني سيثير موضوع حرية الفكر في مصر ، ويستغرب آلا يكون رئيس وفدنا ، حتى ذلك الحين ، قد فاتحه بذلك وطلب منه المعلومات ، فأجابه ان الوفد سيثير الموضوع ، وان المعلومات عنه متوافرة لا نحتاج منها الى المزيد . فانقلب يهدده بأنه سيهاجمه هجوما عنيفا حتى لو أدى الامر الى « تخريب » آلمؤتمر . واكتفى رئيس وفدنا ، وقد ساءه منه ذلك ، بأن يذكره بأنه الامين العام لاتحاد الادباء العرب ، وان رئيس وفدنا بصفة كونه امينا عاما مساعدا

للاتحاد ، حريص على انجاحه ، وعلى ان نجعل لمؤتمرات الادباء العرب شأنا غير شأنها الهزيل ، بحيث تكون اداة فعالة في خدمة الادب والادباء .

وقال الاستاذ السباعي : ـ ستكون منزعجا جدا اذا علمت ان التدابير المتخذة في مصر هي في طريق الالغاء ، أو ألغيت فعلا .

فاجابه بهدوء : ـ بل سأكون سعيدا جدا . انني أطلب منك ان تعلن رسميا عن الغائها او قرب الغائها حتى ألغي الكلمة التي سألقيها في حفلة الافتتاح واستبدل بها اقتراحا قوامه توجيه الشكر والتحية الى المسؤولين في مصر على هذا الموقف .

فقال الامين العام : انني لا أملك ذلك !
واعتبر رئيس وفدنا الحوار منتهيا ، ففارقه .

وفي كلمة الوفد اللبناني في حفلة الافتتاح ، جاء ان الادباء العرب ظلوا طوال الاعوام العشرين التي انقضت منذ انعقاد المؤتمر الاول للادباء في لبنان ، يضطهدون في حريتهم ويخضعون لشتى ألوان الارهاب والقمع . واستطرد الوفد الى القول بأننا ونحن نأتمر في تونس التي تفتح لنا صدرها واسعا، يعاني عدد من الادباء والمفكرين والصحافيين من كبت حرية التعبير لديهم ، أما بالاعتقال ، كما حدث اخيرا في البحرين ، واما بمنعهم من ممارسة حقهم في الكتابة وتهديدهم في قوتهم ورزقهم ووسائل عيشهم واما بالايعاز بحجب اصواتهم في المجلات والصحف والاذاعة والتلفزيون ووسائل الاعلام الاخرى ، يستوي في ذلك بعض ممثلي التيارات الادبية الحديثة الذين يرسمون خريطة مستقبل الادب العربي ، وبعض رواد الادب الكبار الذين صنعوا ، على صعيد الانتاج الرفيع ، مجد البلد الذي ينتمون اليه .

وأضاف ان الامانة تقتضينا ان نعترف بأن مؤتمرات الادباء العرب قصّرت تقصيرا فادحا في تطبيق أهم هدف من اهداف الاتحاد العام للادباء العرب ، وهو الذي تنص عليه المادتان العاشرة والحادية عشرة من اهداف الاتحاد في نظامه الاساسي حين تقرران الدعوة الى « العمل على رعاية الاديب وحماية حقه في حياة حرة كريمة ، والعمل على حماية حق الاديب في حرية التعبير في نطاق المثل القومية العربية والانسانية » .

وجاء في كلمة الوفد اللبناني بعد ذلك : « لئن قصّرنا في هذه السنوات العشرين الماضية في اداء واجبنا ، رغم ان صوتنا كان دائما يرتفع بالدعوة الى حماية حرية التعبير ، فان الاتحاد العام للادباء العرب مدعو اليوم ، اذا أراد لنفسه الكرامة والاحترام ، واذا أراد لمؤتمراته وقراراته الجدوى والفعالية ، ان يتخذ موقفا واضحا وحاسما في هذا الصدد » .

وبروح من هذه الفكرة ، اقترح الوفد اللبناني على المؤتمر التصديق على « ميثاق شرف » ينص على ان يتعهد الاتحاد العام للادباء العرب بالمبادرة الى شجب كل محاولة، في أي بلد عربي ، لقمع حرية الفكر ، واتخاذ جميع الخطوات الضرورية لرفع هذا القمع .

وجاء في كلمة الوفد : « ان معركة الحرية الفكرية جزء لا يتجزأ من معركة التحرير ، فاذا تقاعس فيها الاديب او هادن ، فانما يتخلى عن واجبه في معركة التحرير . فلنبدأ في هذا المؤتمر بالذات معركة حريتنا الفكرية ، ولنهب بكل سلطة تحاول ان تقمع الفكر ان تتراجع عن محاولتها ، بل ينبغي ألا نتردد في ان نطالب الشقيقة الكبرى مصر ، طليعة معركة التحرير ، بأن تلغي التدابير التي اتخذتها بحق عشرات من ادبائها وصحافييها وفنانيها المبدعين . ولنحذر كل سلطة عربية اخرى من اتخاذ أي اجراء يطعن حرية الفكر وكرامة الادباء » .

وانتهت كلمة الوفد بالقول :

« اننا نحن ممثلي اتحاد الكتاب اللبنانيين نعاهدكم ، أيها الزملاء الكرام ، أن نمضي في معركة الدفاع عن حرية الاديب العربي الى آخر الشوط ، وانه ليسعدنا أن ندعو مؤتمر الادباء العرب القادم الى الانعقاد في لبنان تحت شعار « حرية الكلمة العربية » .

وقوبلت كلمة الوفد اللبناني بترحيب كبير من اعضاء المؤتمر والمدعوين ونالت من التصفيق والاستحسان ما لم تنله أية كلمة . وكان المؤتمرون يحيون أعضاء الوفد اللبناني على موقفهم الشجاع المسؤول . وكانت الوفود الوحيدة التي وقفت موقفا عدائيا من كلمة وفدنا هي وفود مصر والسعودية والكويت .

وابتدأت من بعد حملة الضغط علينا ، وتدخل فيها بعض المسؤولين التونسيين وبعض السفارات العربية... وكانت تتلخص في قولهم : لقد سجلتم موقفكم . حسنا . ان هذا يكفي !

وكنا نبتسم ، ولم نكن ابتسامتنا نخلو من أشفاق : فلو اننا جئنا حقا لنسجل موقفا فحسب ، لكان سيادة الامين العام الاستاذ يوسف السباعي على حق في اتهامنا بالتمثيل بل بالتدجيل !

لقد كنا نريد ان نضع المؤتمر واتحاد الادباء العام عند مسؤوليتهما ، ونحملهما على اتخاذ موقف يؤدي حقا الى حماية حرية الاديب ورفع قمع السلطات عنه . من اجل ذلك تقدمنا الى لجنة الصياغة بأربع توصيات ، تحمل الاولى مشروع قانون من مادة وحيدة يتضمن « ميثاق الشرف » الذي أشرنا اليه في كلمة الوفد في حفلة الافتتاح ، وهو ينص على ان :

« يتعهد الاتحاد العام للادباء العرب بجميع هيئاته : المؤتمر العام ، والمكتب الدائم ، والامانة العامة ، بأن يبادر الى شجب كل محاولة ، في أي بلد عربي ، تستهدف قمع الفكر او ارهاب الادباء او التضييق على حرياتهم ، كما

يتعهد ببذل كل مساعيه واتخاذ جميع الخطوات الضرورية للدفاع عن حرية المفكرين والادباء العرب . ويكلف الاتحاد العام الامين العام للادباء العرب تنفيذ الاجراءات التي يقتضيها هذا الميثاق » .

وتنفيذا لهذا الميثاق ، قدمنا اقتراحات بارسال برقيات الى المسوولين في ثلاثة بلدان عربيه نعرف انفيها تدابير قمعية ضد المفكرين والادباء في هذه الفترة . وكان نص البرقيه المقترحه الى الرئيس السادات كما ياتي بتوقيع رئيس المؤتمر :

« سيادة الرئيس انور السادات ، رئيس جمهورية مصر العربية .

باسم وفود الادباء المجتمعين في العاصمة التونسية في المؤتمر التاسع للادباء العرب ، نحيي نضال جمهورية مصر العربية لقيادة معركة التحرير الكبرى ونناشد سيادتكم الغاء التدابير المتخذة بحق عدد من المفكرين والادباء والصحافيين المصريين ليتمكنوا من اداء واجبهم بالكلمة الشريفة المسؤولة في معركة التحرير » .

وكان هناك اقتراحان احران بارسال برقيتين اولاهما الى أمير دولة البحرين تناشده وقف حملة التهديد والتفتيش والاعتقال بحق الادباء والشعراء في البحرين وتطالبه باطلاق الشاعر قاسم حداد عضو وفد البحرين لمؤتمر ادباء العرب الذي اعتقل قبل ايام من انعقاد المؤتمر . والبرقية الاخرى المقترحة موجهة الى وزير خارجية المغرب تطالبه برفع الضيم عن الكاتب المغربي عباس برادة .

وفي جلسة رؤساء الوفود التي انعقدت لتدارس البيان الختامي وقعت مشادة بين الامين العام الاستاذ السباعي وبين رئيس وفدنا حين وصف موقفه بالدفاع عن حرية التعبير واقتراحه الغاء التدابير المتخذة ضد الادباء المصريين بأنهما عبارة عن « اطلاق رصاصتين على مصر » ثم النزول عن المسرح . وحين اجابه ان موقفه من مصر وتقديره لمصر وايمانه بأنها طليعة معركة التحرر لا تحتاج الى بيان ، أصر على اتهامه ، فكان أن أجابه انه لا يحتاج منه الى « شهادة حسن سلوك » .

وهنا بدأت روح « التسوية » و « الحل الوسط » و « الاخوانيات » و « الاسرة الواحدة » تطغى تدريجا على الاجتماع . وأذهلنا ان نرى حتى الوفود « الثورية » تشارك في اللعبة ، فتقدم اقتراحات التسوية التي تجعل اقتراحنا ميثاق الشرف فاقدا لكل فعالية . واقترح البعض تقطيع أوصال الميثاق وأخذ كلمة من هنا وكلمة من هناك ، رغم انه واضح وجلي وشديد الاعتدال ، وليس فيه ايذاء لاحد ، ووصف رئيس وفد مصر الشاعر عزيز اباظة اقتراح ارسال البرقية الى الرئيس السادات بأنه هجوم مركّز على مصر ، متجاهلا ان البرقية تحمل تحية وفود الادباء « لنضال جمهورية مصر العربية لقيادة معركة التحرير الكبرى » ومشوها المناشدة بالغاء التدابير باعتبارها هجوما . وظل رئيس وفدنا يدافع عن اقتراحاتنا ويعتبرها وحدة لا تتجزأ لان اقتراح البرقيات ليس الا بدءا لتنفيذ « ميثاق الشرف » ، واستخففنا باقتراح يوصي بتأليف « لجنة للاستقصاء والتحقيق » تسافر الى البلاد العربية المقصودة، مشككين بفعاليتها ووقوع اعضائها في أسر السلطات ، وتخوف الادباء المضطهدين من التعرض لمزيد من الاضطهاد اذا كشفوا الحقائق كلها . الى ان اقترح البعض قفل باب المناقشة واجراء التصويت على اقتراحات الميثاق والبرقيات . فأدركنا فجأة ان الوفد اللبناني وقع في ما يشبه الغفلة حين نسي ان الوفود وفود « رسمية » ، وان التأييد الذي حظي به موقفنا من قبل يتوقف حين يصل الى حدود « الرسميات » ، وان الوفد اللبناني وحده يتمتع بحرية التصرف والسلوك لعدم ارتباطه بالسلطة .

قد يقال ان هذا وضع مؤتمر الادباء العرب منذ نشأته ، وسيبقى كذلك حتى النهاية . فنقول اننا كنا نامل مع ذلك ان يستطيع المؤتمر أن يتخذ موقفا واضحا مسؤولا في أهم قضية تواجهه : قضية حرية التعبير ، والا فما قيمته وما شأنه ؟

وطرح اقتراح « ميثاق الشرف » على التصويت ، فسقط . نعم ، سقط ميثاق الشرف !

ونهض رئيس الوفد اللبناني قائلا انه ينسحب من المؤتمر ، فاحاط به « أصدقاؤه » يقنعونه بالبقاء وبقبول التصويت « الديموقراطي » ، فقال بأنه يرجيء اعلان موقفه النهائي الى جلسه المؤتمر الاخيرة ، ريثما يتشاور مع أعضاء الوفد ، وطلب ان يحتفظ بحقه في اعلان ذلك، فوافق رئيس المؤتمر .

وبالاتفاق مع الوفد اللبناني ، أعد الكلمة القصيرة الآتية :

« أيها الزملاء ، أعضاء المؤتمر التاسع للادباء العرب.

لقد حرص الوفد اللبناني ، منذ وصوله الى تونس ، على ان يطرح قضية اضطهاد الفكر والادب في بعض البلدان العربية ، ويقنع رؤساء الوفود باتخاذ موقف حاسم منها ، لكنه لم يوفق الى ذلك .

ولما كانت غايته الاساسية من المشاركة في هذا المؤتمر الدفاع عن حرية التعبير والعمل على اتخاذ توصية برفع القمع والارهاب في هذه البلدان ، مما لم يتوصل اليه مؤتمركم في البيان العام الذي يميّع هذه القضية الرئيسية من قضايا الادب العربي اليوم ، فان الوفد اللبناني يعلن انسحابه من المؤتمر ، معاهدا نفسه ان يواصل في ميادين اخرى كثيرة الدفاع عن حرية الفكر وكرامة الادب » .

لكن رئيس المؤتمر رفض ان يعطي رئيس الوفد اللبناني الكلمة حين طلبها في الجلسة الاخيرة ، فذكره

بأنه وعده بذلك في جلسة الصباح ، فأجاب رئيس المؤتمر ان الامين العام يقول ان هذا خرق لبروتوكول المؤتمر ، فقال ان هذا غير صحيح ، وانه يطلب الكلمة بصفته أمينا عاما مساعدا ، لكن رئيس المؤتمر ظل يمنعه ، بينما كان الامين العام على منصة الرئاسة ممتقعا لا يفوه بكلمة . وقال رئيس وفدنا اخيرا انه يحتج على الرئاسة لهذا الموقف ويعلن انسحاب الوفد اللبناني من المؤتمر .

وخرجنا من القاعة ، فانسحب معنا الشاعر علي عبد الله خليفة رئيس وفد البحرين ، والشاعرة مليكة العاصمي والكاتب عبد الجبار السحيمي عضوا وفد المغرب الذي يرئسه الاستاذ عبد الكريم غلاب ، كما انسحب معنا عضوان من الوفد التونسي هما جلول عزونه ومحمود التونسي .

وصباح اليوم التالي ، كان اعضاء الوفود يستعدون للسفر الى القيروان لمتابعة مهرجان الشعر فيها ، بينما غادر الوفد اللبناني العاصمة التونسية عائدا الى لبنان .

هذا ما حدث في مؤتمر الادباء العرب في تونس ، أوردناه بصدق وأمانة ، ومنه نخرج بالاستنتاجات الآتية :

اولا ــ ان الاتحاد العام للادباء العرب يكرس نفسه نهائيا مؤسسة رسمية تابعة للحكومات العربية ويجعل اعضاءه مرتبطين حكما بالسلطة ، بل هو جعل من نفسه عميلا للسلطة في وجه الاديب ، يساعدها على قمعه وارهابه .

ثانيا ــ ان الامين العام للاتحاد يخون واجبه ويخرق مهمته حين يمارس نوعا من الديكتاتورية يخضع لها المؤتمر ، وحين يمنع الأمين العام المساعد الاول من الكلام ، ثم انه كان عليه في هذا المؤتمر الا يغتصب دور رئيس الوفد المصري ، بل ان يتجرد ويقف فوق الجميع ، لمصلحة الجميع .

ثالثا ــ ان مؤتمرات أدباء العرب أصبحت في شكل نهائي مجمعا للراغبين في السياحة والنزهات والاستمتاع بالضيافة العربية والكرم الحاتمي .

رابعا ــ ان كثيرا من الوفود ، بحكم انها وفود رسمية تابعة للحكومات العربية ، تضم بين اعضائها عناصر مخابرات مهمتها وضع التقارير عن نشاط الوفد الذي تنتمي اليه لمزيد من الارهاب والضغط . وكان يسيرا علينا أن نرى كيف كان بعض الاعضاء ، ممن يؤيدون موقفنا الى أبعد الحدود ، يلتزمون الصمت ويتحاشون لقاءنا خوفا من عين المخابرات اليقظة التي تحصي عليهم أنفاسهم .

من اجل هذا كله ، يعلن اتحاد الكتاب اللبنانيين انه قرر اتخاذ الخطوات الآتية :

اولا ــ بعد انسحاب اتحادنا من مؤتمر الادباء العرب التاسع ، يعلن انسحابه كذلك من الاتحاد العام للادباء العرب بكل هيئاته ، ويعلن استقالة امينه العام من مجلس تحرير مجلة « الاداب العرب » . وقد ارسل الاتحاد برقية بهذا المعنى الى مقر الاتحاد العام في القاهرة .

ثانيا ــ يعلن اعضاء الاتحاد المنتسبون الى اتحاد الكتاب العرب في سوريا استقالتهم من هذه العضوية . وقد ارسلوا برقية بهذا المعنى الى مقر الاتحاد في دمشق .

ثالثا ــ يتبنى الاتحاد قضية كل مثقف عربي يقع تحت ارهاب السلطات ويقوم بالدفاع عنه بشتى الاساليب التي تحمل تلك السلطات على رفع القمع عنه . وقد بدأ الاتحاد فعلا تنفيذ ذلك فأرسل البرقيات الثلاث التي قدمها وفده الى مؤتمر الادباء العرب فجبن عن تبنيها .

رابعا ــ يسعى الاتحاد الى تأمين كل مساعدة مادية ممكنة لاي مثقف عربي يضام في رزقه او معاشه بسبب افكاره او اتجاهاته .

خامسا ــ يتبنى الاتحاد نشر كل مادة أدبية أو فكرية ينتجها أي مثقف عربي ولا يستطيع نشرها في بلده بسبب الارهاب ، شريطة أن يتوافر لهذه المادة المستوى الفني المطلوب . ولا يرى الاتحاد مانعا من السعي لدى المجلات ودور النشر التي يشرف عليها أعضاء في الاتحاد لنشر بعض المواد غفلا من أسماء كتابها شريطة أن يكون متأكدا من معرفة هذه الاسماء في شكل سري .

سادسا ــ يعلن الاتحاد ، انطلاقا من هذا الموقف ، انه سيقيم صيف كل عام ملتقى أدبيا يطلق عليه « ملتقى الادباء العرب الاحرار » يدعى اليه أدباء ومفكرون من العالم العربي معروفون بتحررهم واستقلاليتهم . وسيقام الملتقى الاول في الصيف المقبل تحت شعار « حرية الكلمة العربية المسؤولة » . ويرجو الاتحاد ان يتخذ الخطوات الضرورية لاقامة اتحاد بديل للادباء العرب في المستقبل القريب .

سابعا ــ يعلن الاتحاد انه ، مع تقديره لما يتمتع به الادباء في لبنان من حرية نسبية في التعبير ، سيستمر في مشاركته في معركة الحريات التي تخوضها الصحافة اللبنانية في هذه الفترة التي يبدو ان موجة سياسة القمع والارهاب تقترب فيها من شواطئنا ، لفرض حلول استسلامية معروفة .

ثامنا ــ يحرص الاتحاد أشد الحرص على أن يوضح ان جميع خطواته السابقة وخطواته الآتية انما تستوحي منطلقاته الاساسية في تأييد الاتجاه القومي العربي والايمان بدور مصر الطليعي وبتركة عبد الناصر التاريخية ، وفي محاربة الاستعمار والصهيونية العالمية ، وفي ادانة الانعزالية المحلية والرجعية العربية وتدعيم الاتجاه التقدمي والمقاومة الفلسطينية ، والعمل على تجسيد ذلك كله في الانتاج الادبي اللبناني والعربي .

هذه هي الخطوط العامة لنشاط اتحاد الكتاب اللبنانيين المقبل ، آملين ان يكون هذا النشاط ، بمنطلقاته وانجازاته الممكنة ، عنوانا جديدا لمجد الحرية في لبنان والوطن العربي كله .

« اتحاد الكتاب اللبنانيين »

* * *

كان أكثر ما آلمني ، بالاضافة الى ما أورده البيان ، موقفان وقفهما الاستاذ يوسف السباعي وكان متجنيا عليّ فيهما كليهما :

الاول اصراره على اتهامي بالهجوم على مصر وبما سمّاه تصويب « رصاصتين » أليها ، ومحاولة القيام بدور البطولة في المؤتمر ... انه يخالف في ذلك ضميره ويخادع نفسه ، لانه يعرف جميع مواقفي في الدفاع عن مصر ، وفي تلقي السهام دونها في صدري ، وفي تعريض كثير من مصالحي للاذى في سبيلها . وليست صداقتي الشخصية له الا مظهرا من مظاهر محبتي لمصر . ولكن مصر ليست هي يوسف السباعي وحده ، ولا صالح جودت وانيس منصور وعزيز اباظة وعبد العزيز الدسوقي وحدهم . انها ايضا نجيب محفوظ ويوسف ادريس والفريد فرج وأحمد عبد المعطي حجازي ورجاء النقاش وأمل دنقل وسواهم كثير . وحين ننهض للدفاع عن حق هذه الفئة الاخيرة في حرية التعبير ونناشد المسؤولين الغاء الاجراءات المتخذة بحقهم ، فانما ندافع ايضا عن مصر ونعبر عن حبنا لها . وقد كان أحرى وأجدر بالاستاذ السباعي ، وهو الامين العام للادباء العرب ، ان يسعى لرفع هذه الاجراءات قبل انعقاد مؤتمر الادباء العرب في تونس . ولكنه بدلا من أن يقدر لنا موقفنا في الدفاع عن عشرات المثقفين المصريين المرموقين ، ويلتزم جانب الموضوعية ، يهاجمنا ويتجنى علينا بالتهم الباطلة ...

قال لي الاستاذ السباعي ، في المقابلة القصيرة التي تمت بيننا قبل بدء المؤتمر :

ـ لولا انهم أصدقاؤك ، ما رفعت الآن صوتك ... والا فلماذا لم ترفعه من قبل احتجاجا على اعتقال أدباء وكتّاب آخرين ؟ لماذا لم تتكلم حين ظل انيس منصور أربعة أعوام في السجن ؟

فأجبته : ـ ان لي بالطبع أصدقاء كثيرين بينهم . ولكن بيني وبين بعضهم الآخر خلافات في الاتجاه والنزعة . انما المسألة مسألة مبدأ الدفاع عن حرية التعبير لدى الجميع . وأما اني لم أرفع صوتي دفاعا عن انيس منصور حين اعتقل ، فقد يكون هذا صحيحا ، ويجب ان نتدارك بعد اليوم هذا التقصير ، لا ان نتمادى فيه ، فنسكت عن تدابير الارهاب الجديدة ، لمجرد اننا سكتنا عن مثلها في السابق !

وفاتني ان أسأل الاستاذ السباعي : هل احتج هو او رفع صوته مدافعا عن انيس منصور ، وهو الامين العام لاتحاد الادباء العرب ورئيس اتحاد الادباء المصريين ؟

على اني ذكّرته ، في معرض ردّي على تهمة « تمثيل » دور البطولة ، ان صوت وفد لبنان الى مؤتمرات الادباء العرب كان دائما يرتفع بمهاجمة سياسة القمع والارهاب لدى السلطات العربية ، واني كنت شخصيا ارفع هذا الصوت ، حتى انه (اي الاستاذ السباعي) كان غالبا ما ينزعج من كلمة الوفد اللبناني في المؤتمرات ... ومع ذلك ، فانه لم يتهمنا من قبل قط بمثل ما يتهمنا به اليوم من « تمثيل » و « بطولة » .. فلماذا ؟

ليسمح لي الاستاذ السباعي ان أورد له نبذة عن مواقفنا السابقة كلها ...

في المؤتمر الاول للادباء العرب الذي انعقد في مصيف بيت مري بلبنان من ١٨ الى ٢٦ ايلول ١٩٥٤ ، ألقيت كلمة قصرتها على موضوع حرية الفكر « الذي هو أخطر موضوع تواجهه » مشيرا الى الارهاب الفكري الذي كان قائما آنذاك في العراق ، داعيا الادباء الى توحيد جهودهم للدفاع عن الحرية الفكرية « التي هي حظهم الاول وقوام حياتهم الفكرية في تأدية رسالتهم » (١) .

وفي صيف ١٩٥٧ جرت محاولات لاضطهاد الفكر والمفكرين في لبنان ، فأصدر ادباء لبنان مذكرتي احتجاج بعثوا بهما الى السلطة اللبنانية ، وكنت من الذين وقعوهما دفاعا عن حرية الفكر (٢) .

وفي يوليه ١٩٦٤ احتجت « الآداب » على استجواب القصاصة ليلى بعلبكي في بيروت ومصادرة كتابها « سفينة حنان الى القمر » وطلبت من المسؤولين رفع يدهم عن حرية الفكر في لبنان .

وفي مؤتمر الادباء العرب الخامس الذي عقد في بغداد عام ١٩٦٥ ، أثرت موضوع عدد من الادباء والمثقفين العراقيين الموجودين خارج العراق ، كان اسقاط الجنسية العراقية عنهم يحول دون عودتهم الى وطنهم . وقد أثرت مرة أخرى في « الآداب » هذا الموضوع (٣) وطالبت الحكومة العراقية بالغاء ذلك القرار اللاانساني والسماح لاولئك المفكرين والمثقفين العراقيين بالعودة الى الوطن (وقد ألغي القرار بعد ذلك فعلا) .

وفي المؤتمر السادس للادباء العرب الذي انعقد في القاهرة في شهر مارس ١٩٦٨ ، قلت في كلمة الوفد اللبناني :

« اذا كان من حقنا ان ندعي ان السلطات في معظم البلاد العربية كانت تحول دون أن يتمتع المفكر بحرية التعبير التي هي الشرط الاساسي للانتاج الحقيقي ، فمن واجبنا ان نعترف بأنهم قلة نادرة اولئك المفكرون والادباء الذين ناضلوا دفاعا عن حرية الفكر او قاموا بتضحية من أجل المحافظة على حقهم في تلك الحرية ... ولا نحسب ان من حق اديب ان يطلب من الجندي في الساحة ان يستشهد دفاعا عن حرية الوطن ، اذا لم يكن هو نفسه مستعدا أن يستشهد دفاعا عن حرية الفكر .. يجب ان نعترف اننا نادرا ما وقفنا في وجه الارهاب الذي كانت تمارسه السلطات على فكرنا حين تهددنا باعتقال حرياتنا وألسنتنا ، وتمنع اشخاصنا من عبور اراضيها ، وتمنع صحفنا وكتبنا لمجرد اننا كنا ننتقد احيانا أنظمتها أو تصرفاتها ... » (٤) .

---

(١) راجع « الآداب » ، العدد العاشر ١٩٥٤ .

(٢) راجع « الآداب » ، العدد التاسع والعدد الثاني عشر ١٩٥٧ .

(٣) راجع « الآداب » ، العدد العاشر ١٩٦٦ .

(٤) انظر « الآداب » ، العدد الرابع ١٩٦٨ .

وفي المؤتمر السابع للادباء العرب الذي انعقد في بغداد في نيسان ١٩٦٩ قلت في كلمة الوفد اللبناني للمؤتمر :

« ... ان النضج الفني لكل أدب يتطلب شروطا لا تتوفر لكثير من نتاجنا الحديث ، أولها ورأسها الحرية، حرية التعبير عن الرأي وحرية النقد ، ذاتيا كان ام موضوعيا . ويجب أن نعترف هنا بأن هذه الحرية ما تزال مضطهدة في كثير من البلدان العربية ، وان عدم توفرها بالقدر الكافي هو الذي يزهد كثيرا من الادباء في الانتاج والابداع » (٥) .

وفي مؤتمر الادباء العرب الثامن الذي انعقد في دمشق (ديسمبر ١٩٧١) قلت في كلمة الوفد اللبناني :

« ... الذي لا شك فيه هو ان مؤتمرات أدباء العرب لم تستطع حتى اليوم ان تنفذ التوصية الهامة التي لا بد من تنفيذها ليكون لكل مؤتمر أدبي شأنه وقيمته في حياتنا الثقافية العربية : توفير حرية التعبير للاديب العربي ليتمكن من القيام برسالته في معركة المصير (...) والحق ان الاديب العربي يشكو منذ فترة طويلة ، وفي معظم البلدان العربية أن لم نقل فيها كلها ، من ان هذه الحرية غير متوفرة له ، لان هناك دائما سيفا مصلتا عليه، يتخذ مرة صورة الارهاب ، ومرة صورة المحاكمة ، ومرة صورة الرقابة ... ويكون ذلك تارة بحجة الدفاع عن الدين ، وطورا بحجة صيانة الاخلاق ، بل حتى بحجة صيانة الثورة طورا آخر ... وما من شك في ان هذه الحجج كثيرا ما تكون وهمية ، وانها تخفي وراءها نزعة الى القمع هي نزعة السلطة اجمالا حين يوجه لها النقد . ويستوي في ذلك جميع السلطات القائمة ، ولا أستثني من ذلك سلطة بلدي لبنان الذي ، على ما فيه من حريات ، لا يتورع أحيانا عن سجن كاتب وارهابه اذا املى عليه اجتهاده ان ينتقد بعض رؤساء الدول (...) وعلى ذلك يبقى اديبنا العربي تحت شبح الارهاب والقمع ، فيؤثر في كثير من الاحيان الصمت أو يلجأ الى المداورة... وينعكس هذا الوضع على الموقف الادبي عامة ، هذا الموقف الذي يعاني الآن ازمة في الابداع لعلها اشد الازمات التي مرت بالفكر العربي منذ نصف قرن . ولسنا نريد ان نخلي الاديب نفسه من بعض هذه المسؤولية ، فانهم قلة أولئك الذين يتخذون الادب رسالة ليناضلوا بالكلمة ويدافعوا عن حقهم فيها ... ولكن يبقى مع ذلك ان سلطة السلطة هي الاقوى . فلئن كان ثمة أديب يجرؤ على التعبير عن رأيه ويجد ناشر مجلة او كتاب يجرؤ على تقديم انتاجه ، فسيدركه سيف الرقابة والمنع ، اذا لم يدركه سيف المحاكمة والقمع ! (...) لنتدارس قضية الرقابة ، ولننظر في أمر الغائها او تقليصها او نقلها الى اتحادات الكتّاب ، ولنتح للافكار ان تتصارع وتتحاور ، ولنرفع عن فكر الكاتب كابوس الخوف ليجد الطمأنينة التي تتيح له الانطلاق في سماء الابداع والخلق ، ولكن لا بد لنا ، ونحن نطالب بذلك السلطات ، من أن نتعهد بأن نناضل من أجل امتنا ، ونكافح من أجل شرف الكلمة » (٦) .

هذه نبذة عن مواقف الوفد اللبناني الى مؤتمرات الادباء العرب وسواها ، وقد كان الاستاذ السباعي شاهدا حيا على هذه المواقف باعتباره امينا عاما لاتحاد الادباء العرب . ولكنه لم يتهمنا قط « بالتمثيل » في أي منها ، فلماذا نكون « ممثلين » حين يأتي الحديث فقط عن ارهاب الادباء في مصر ؟

* * *

على ان موقفه الاشد ايلاما لنا كان ذلك الذي اتخذه في الجلسة الختامية للمؤتمر ، حين قرر منعي من الكلام وطلب من رئيس المؤتمر الاستاذ محمد المزالي تنفيذ ذلك.

في تلك اللحظة التي وقفت فيها رافعا يدي أطالب الكلام ، فأشار لي رئيس المؤتمر بيده ان اجلس ، أحسست بما يشبه خنجرا ينغرس في لحمي ... وغشيت عيني غمامة سوداء وانا أصرّ على طلب الكلام ، ثم تجسدت لي فجأة « مأساة » الاديب العربي كلها ، هذه المأساة التي جئنا الى تونس لنرفع صوتنا احتجاجا على انها ما تزال تفرض على الاديب العربي ، فاذا «بالمسؤولين» يفرضونها علينا نحن ايضا ، فنعيش هذه « المأساة » ، مثالا حيا صارخا ، في المكان الذي جئنا نفضحها فيه .

وكان خضوعنا للصمت يعني قبول الارهاب ...

ولكننا أتينا نكافح الارهاب ونطالب باطلاق صوت الاديب العربي ، أنّى كان .

وفي قاعة مؤتمر الادباء العرب ، ظل صوتنا منطلقا رغم المنع والقمع ، رمزا حيا صارخا على ان صوت الاديب العربي لن يخنق ...

كان صوتا واحدا في وجه الاضطهاد والقهر والظلام، ولكن كانت تتلجلج به صدور كثيرين من اعضاء المؤتمر تحجب اصواتهم موانع وارتهانات يقاومونها في نفوسهم بلا ريب ، وان كانوا لا يستطيعون دائما قهرها ...

وحين غادرنا قاعة المؤتمر وخرجنا الى العراء ، فتحنا صدرنا للسماء وتنشقنا الهواء النقي ، مصممين على ان نمضي قدما في درب الحرية ، وفي الدفاع عن الحرية ، وفي معانقة عشاق الحرية ...

ووجدنا عزاءنا ، نحن اعضاء الوفد اللبناني الذين لم يكونوا يوما متضامنين متعاضدين كما كانوا ذلك اليوم، وجدنا عزاءنا في خمس أيد امتدت الينا من تونس والمغرب والبحرين ، خارقة حجب السلطات ، مجسدة توق العشرات بل المئات من الادباء العرب الى النور والحرية..

سهيل ادريس

---

(٥) راجع « الآداب » ، العدد السادس ١٩٦٩ .

(٦) راجع « الآداب » ، العدد الاول ١٩٧٢ .